المجال السادس
الإنفاق

ورد النهي في هذا المجال في سياقينعن:

١ – إبطال ثواب الصدقة بالمن على المتصدق عليه، في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ** كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٢٦٤).

إن الإنفاق والصدقة من أفضل القربات إلى الله تبارك وتعالى، ولذلك لابد أن تكون – شأن كل القربات – خالصة لوجهه تعالى، خالية من الرياء، حتى لا يذهب ثوابها أدراج الرياح.

ومن ثم جاء النهي عن إبطال ثوابها بالمن أو الأذى.

ورد في معنى الإبطال: "الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته، حقّا كان ذلك الشيء أو باطلا[١]"، وقيل: "إبطال الشيء عبارة عن إقامة دليل ينتج بطلانه سواء أقيم على بطلانه أو على أمر آخر[٢]"، وقيل: "أصل الابطال الاهلاك ومنه سمي الشجاع بطلا لاهلاكه قرنه[٣]".

وجاء في تعريف المن: "المَنُّ ههنا: أَن تَمُنَّ بما أَعطيت وتعتدّ به كأَنك إِنما تقصد به الاعتداد، والأَذى: أَن تُوَبِّخَ المعطَى[٤]". وورد في تعريف المنان: "الفخور على من أعطى حتى يفسد عطاءه[٥]" وورد في معنى اسمه تعالى المنان: "أي الذي ينعم غير فاخر بالإنعام ولا معجب من جهته[٦]" ومن أمثال العرب في معنى النص الكريم: "المِنَّةُ تهْدِمُ الصَنِيعَةَ[٧]".

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ١٣٠

(٢) دستور العلماء، عبد رب النبي نكري، ١ / ٢٦

(٣) الفروق اللغوية، العسكري، ١ / ١١

(٤) لسان العرب، ابن منظور، منن، ١٣ / ٤١٥

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢ / ٨٨٩

(٦) الزاهر فى معانى كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، ٢ / ٢٨٧

(٧) مجمع الأمثال، الميداني النيسابوري، ٢ / ٢٨٧

ويقول الراغب في معنى الأذى: "الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضرر إمّا في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أو أخرويا[1]"، و "والأذية اسم منه[2]".

وجاء في تفسير الآية الكريمة: "وَالْعَقِيدَةُ أَنَّ السَّيِّئَاتِ لَا تُبْطِلُ الْحَسَنَاتِ وَلَا تُحْبِطُهَا، فَالْمَنُّ وَالْأَذَى فِي صَدَقَةٍ لَا يُبْطِلُ صَدَقَةً غَيْرَهَا. قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ الصَّدَقَةَ الَّتِي يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنَّهُ يَمُنُّ أَوْ يُؤْذِي بِهَا فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ. وَقِيلَ: بَلْ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْمَلَكِ عَلَيْهَا أَمَارَةً فَهُوَ لَا يَكْتُبُهَا، وَهَذَا حَسَنٌ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَا يُمَنُّ بِهِ: يَدٌ سَوْدَاءُ. وَلِمَا يُعْطَى عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ: يَدٌ بَيْضَاءُ. وَلِمَا يُعْطَى عَنْ مَسْأَلَةٍ: يَدٌ خَضْرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ[3]".

ويقول الإمام الجصاص: "أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن الصدقات إذا لم تكن خالصة لله عارية من من وأذى فليست بصدقة; لأن إبطالها هو إحباط ثوابها، فيكون فيها بمنزلة من لم يتصدق، وكذلك سائر ما يكون سبيله وقوعه على وجه القربة إلى الله تعالى، فغير جائز أن يشوبه رياء ولا وجه غير القربة; فإن ذلك يبطله كما قال تعالى: وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ، وقال تعالى: وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ.

فما لم يخلص لله تعالى من القرب فغير مثاب عليه فاعله، ونظيره أيضا قوله تعالى: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ[4]".

ويقول صاحب اللطائف: "إنما يحمل جميل المنة من الحق سبحانه، فأمّا من الخلق فليس لأحد على غيره منّة فإنّ تحمل المنن من المخلوقين أعظم محنة، وشهود المنة من الله أعظم نعمة، قال قائلهم: ليس إجلالك الكبار بذلّ إنما الذّلّ أن تجلّ الصّغارا و يقال أفقر الخلق من ظنّ نفسه موسرا فيبين له إفلاسه، كذلك أقل الخلق قدرا من ظن أنه على شيء فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسبه[5]".

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٧١

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ١ / ٤٦

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣ / ٣١١

(٤) أحكام القرآن، الجصاص، ٢ / ١٧٣

(٥) لطائف الإشارات، القشيري، ١ / ٢٠٤

٢- **الإنفاق من الخبيث; فالله طيب لا يقبل إلا طيبا، في قوله تعالى:** ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ** ﴾(٢٦٧).

يقول الراغب: "يَمَّمْتُ كذا، وتَيَمَّمْتُهُ: قصدته[١]"، وقيل: "التيمم في اللغة مطلق القصد وفي الشرع قصد الصعيد الطاهر واستعماله بصفة مخصوصة لإزالة الحدث[٢]". الخبيث فقد جاء في تعريفه: "الخاء والباء والثاء أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف الطّيّب. يقال خبيثٌ، أي ليس بطيِّب[٣]".

وقيل: "الخُبْثُ والخَبِيثُ: ما يكره رداءة وخساسة، محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرّديء الدّخلة الجاري مجرى خَبَثِ الحديد[٤]"، والله تبارك وتعالى طيب، ولا يقبل من عبده نفقة ولا صدقة إلا إذا كانت طيبة طاهرة.

إن في النص الكريم: "تنبيه وتحذير من نوازع النفس التي تغلبها الأثرة، عن أن تنفق. حين تنفق. إلا من خبيث ما معها.. وتسمية الشيء المكروه أو المزهود فيه أو المستغنى عنه. خبيثا، للتنفير منه، ولاستبعاده فى مجال الإحسان، والإنفاق فى سبيل الله.. والتيمم هو القصد، فما كان عن غفلة فليس تيمما[٥]".

وقد "قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: إِن الله طيب لَا يقبل إِلَّا طيبا، وَإِن الله أَمر الْمُؤمنِينَ بِمَا أَمر بِهِ الْمُرْسلين فَقَالَ: ﴿يَا أَيهَا الرُّسُل كلوا من الطَّيِّبَات وَاعْمَلُوا صَالحا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عليم﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا كلوا من طَيِّبَات مَا رزقناكم﴾ ثمَّ ذكر الرجل يُطِيل السّفر أَشْعَث أغبر يمد يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاء: يَا رب يَا رب، ومطعمه حرَام، ومشربه حرَام، وملبسه حرَام وغذي بالحرام، فأنَّى يُسْتَجَاب لذَلِك؟![٦]".

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٨٩٣
(٢) التعريفات، الجرجاني، ١ / ٩٨
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ١٩٤
(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٢٧٢
(٥) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ٢ / ٣٤٢
(٦) الدر المنثور، السيوطي، ١ / ٤٠٦

وقد جاء في شأن هذا النص الكريم: "آفة أخرى من الآفات التي تتسلط على إحسان المحسنين، وإن لم تكن من تلك الآفات التي تأتى على كل إحسان، ولكنها تغيّر وجهه، وتهزل كيانه، وهى أن يمدّ المحسن يده إلى ما لا تطيب نفسه به، ولا يشتد حرصه عليه، من ماله أو متاعه، أو طعامه، فينفقه فى سبيل الله، ونفسه مستغنية عنه، زاهدة فيه.. والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، فكيف يقدّم إليه ما عافته النفس، أو استثقلته أو زهدت فيه؟ والله سبحانه وتعالى يقول: «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»[1]".

فما أحوجنا إلى اختيار الطيب والأحسن والأفضل عن إنفاقنا، فالله تبارك وتعالى غني عنا وعن إنفاقنا فهو من تفضل علينا به، والمنفق حقيقة ينفق لنفسه وعلى نفسه، ومن ثم فيجب على المنفق – والأمر في حقيقته كذلك – أن يقدر المولى جل ثناؤه قدره، ويقدم له سبحانه أفضل وأحسن ما لديه; لأن المولى سيعطيه أفضل مما أعطاه.

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: تبطلوا – صدقات – من – أذى – تيمموا – الخبيث – تنفقون – تغمضوا .

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ٢ / ٣٤٢